منهج البحث

- لماذا ندعو؟
- أثر الدعاة.
- متى يتحقق المنهاج؟
- مفتاح التحويل.
- مفكرة الدعاة.

لماذا ندعو؟

لا بد لمن يريد أن يتفهم هذه الرسالة من أن يتأنى في تناولها؛ حتى يرتبط قلبه بقلوب إخوانه الدعاة في كل مكان. فيكون الكلام عنده مما يتحول في النفس إلى عمل.

ولا ريب أن الكلام ليس غاية في ذاته فنحن -كسائر الناس- نكره كثرته، ونحس بشعور هذا الشعب الذي طالت عليه تجارب الكلام فسئمها، ونود لو خطونا في خدمة الأمة إلى مرحلة من منطق الأعمال، إلا أنه من ضروريات التوجيه أن يوجد التفاهم – الذي هو أساس التعارف- بين البشر، فما من نبي، ولا صاحب فكر جديد إلا بدأ بالدعوة – الكلامية أو الكتابية- حتى استقامت له بعض الأفهام.. فاختار أتباعه ثم ركز جهودهم للغاية التي يقصدها.. **هذا أمر أول.**

وأمر ثان.. هو أن الثقافة الضارة التي سادت العقول – وأكثرها من معسكرات عدوة لنا- لا بد من مهاجمتها وتصحيحها، فلا يجوز أن نظل في موقف المدافع عن عقيدته ووطنه وتراثه؟

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨]

ولقد كان من آثار الثقافة الأجنبية ما يلي:

١ـ اليأس من النهوض .. وبخاصة في الدين.

٢ـ الغرور والغفلة والانصراف عن الله عز وجل.

٣ـ الانغماس في الترف والمعصية والافتتان بالأقوى والتشبه به.

٤ـ الانقسام والتطاحن على مطالع الدنيا .. الأمر الذي زادنا ضعفا وتفرقة ..

وأمر ثالث... هو أن الدعاة للإسلام مقلدون لا مبتكرون.

فهم يتعبدون بالدعوة على أنها جزء من الواجبات التي كلف بها المسلم للظفر بثواب الآخرة قبل الظفر بثواب الدنيا .. ومن أجل ذلك يهون عليهم كل صعب، وتحبب إليهم كل تضحية، ويقرب لهم كل بعيد.

لهذا كان لا بد من الجهر بالدعوة .. لإصلاح ما اعوج .. وتبيين ما خفي .. وتجديد ما درس .. وبعث الأمة فكريا من جديد ..

أثر الدعاة

ومما يؤسف له أن دعاة الإسلام – منذ أجيال - لم يكن لهم الأثر الكافي في تغيير الأعراف الخاطئة، وإحداث النهضة المرجوة لإعادة مجد الدين والإفاضة على الناس مما فيه من خير وبركة .. وربما كان هذا راجعًا للأسباب الآتية:

١ـ ضياع السلطة الزمنية:

فما يملك الدعاة إلا القول أو الكتابة .. ولو امتدت همتهم إلى التربية مثلا، فإنما يكون ذلك في حدود ضئيلة – إما لقلة الموارد، وإما لفقدان التأييد، وإما بسبب الانحصار في دائرة لم يرسمها المسلمون، بل رسمها أعداؤهم، وقد علمنا أن واعظ الناس كان هو سيدهم أو قاضيهم، تحتضنه الدولة وتحميه السلطة، أما اليوم فلعله يرى نفسه سعيد الحظ لو سلم من محنة السلطة، وهو في دار الإسلام.

٢ـ قلة الإنصاف:

فعندما طغت الموجات المادية، واتجه الناس إلى دنياهم متكالبين عليها، نسوا حق العلماء، فساءت حالتهم. وهان أكثرهم على نفسه وعلى غيره، ووقع الاستخفاف بهم في الجد والهزل .. وحتى في الروايات والتمثيليات، وصاروا إلى حالة قلما يملكون بها التأثير في الجماهير، أضف إلى ذلك أن من وسائل بعض السلطات أحيانا أن تبتلي العلماء بالفقر والقهر للتخلص من معارضتهم، وكانت الشعوب قديما تدافع عنهم فأصبحت لا تعبأ بهم شيئًا.

٣ـ أخطاء الدعاة أنفسهم:

ومن الحق أن نقرر أن كثيرًا من الدعاة لا يزال سائرًا على الأساليب العتيقة المنفرة للسامعين .. مع سطحية في التفكير وجمود على طرائق مملة لم يعد يحتملها أهل هذا الجيل المتمرد المستعجل أو المثقف.

وفي نفس الوقت امتلأت المجتمعات بوسائل مغرية للتسلية واللهو المحرم أو المباح، وتفنن أصحاب الملاهي في تزيينها وتسهيل تناولها بإمكانيات هائلة وجهود جبارة .. فأقفر سوق العلماء وتحول عنهم الأتباع إلى تلك الوسائل والمغريات.

ومع ذلك ..

فلا نزال نرى ونسمع عن بعض الدعاة الذين صادفهم التوفيق فأحدثوا أثرًا كبيرًا في شعوبهم وتغييرًا ملحوظًا في أزمانهم .. ولكنها مواهب نادرة وومضات خاطفة سرعان ما تختفي – وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله**».

ولا يعني ذلك أننا ننكر صلاح الصالحين .. أو نتجاهل جهود أولئك الموحدين العابدين والعلماء العاملين في مجالاتهم، جزاهم الله خيرًا.

وإنما المقصود أن ينشأ جيل من دعاة الإسلام يسيرون على مبادئ علمية ثابتة، لا هم لهم إلا نشر الدعوة الصحيحة ابتغاء وجه الله تعالى؛ ليرتفع بهم شأن الدين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله.

إذن فهذه الملاحظات ليس المقصود منها توضيح معالم الدين – فالبحوث في هذا المجال وفيرة بحمد الله – وإنما المقصود منها مساعدة الدعاة على القيام بواجبهم بأيسر الجهود وأفضل النتائج – وبالله التوفيق.

متى يتحقق المنهاج؟

إن المنهاج الإلهي الذي يمثله الإسلام في صورته النهائية كما جاء به محمد ﷺ لا يتحقق في الأرض وفي دنيا الناس بمجرد تنزله من عند الله، ولا بمجرد إبلاغه وبيانه للناس، ولا يتحقق بالقهر الإلهي على نحو ما يمضي أمره في الفلك وسير الكواكب.

إنما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر ..

تؤمن به إيمانا كاملا وتستقيم عليه بقدر طاقتها.

وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك مصداق قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[آل عمران:١٠٤].

ثم تجاهد لهذه الغاية بكل ما تملك ..

تجاهد الضعف البشري والهوى البشري في داخل النفوس.

وتجاهد أولئك الذين يدفعهم الضعف والهوى للوقوف في وجه هذا الهدى.

وتعمل على تحقيق هذا المنهج بالحد الذي تطيقه فطرة البشر، والذي يهيئه لهم واقعهم المادي على أن تبدأ بهم من النقطة التي هم فيها فعلا، ولا تغفل واقعهم ومقتضياته في سير هذا المنهج وفي تتابعه.

وقد تنتصر هذه الجماعة على نفسها وعلى نفوس الناس معها تارة.

وتنهزم في المعركة في نفسها أو مع نفوس الناس تارة أخرى، بقدر ما تبذل من الجهد وبقدر ما تتخذ مع الوسائل المناسبة للزمان، وبقدر ما تترجم المنهج ترجمة عملية في واقعها وسلوكها الذاتي.

إذن... فهي عملية فن وحكمة.

وهي مسألة جهاد وتضحية.

وهي جهد جماعي وليس فرديًا

مفتاح التحويل

يقول بعض الحكماء: «ليست المشكلة في وصف الواقع وحسن تصويره.. ولكن البراعة في تغييره إلى أفضل».. نحن ندعو لحركة تغيير عاقلة ولكنها قوية، تحث الناس على تغيير أنفسهم من داخلها، عن طريق نقدها ومحاسبتها وجهادها المستمر، فالأساس إذن.. هو تغيير النفس الإنسانية.. وعن طريقها تتم حركة تغيير المجتمعات..ومن ثم يتغير مجرى التاريخ. وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[الرعد: ١١]

إن المسلم لا يكتفي بأن يعرف الحق.. ولا يكتفي بالوقوف إلى جانب الحق وإثبات الولاء له.. كما يفعل بعض الانطوائيين وغلاة الصوفية – ولكنه مطالب دائمًا بأن يعمل على إقناع الناس به وضمهم إليه.

ووسيلته في ذلك، الحكمة.. والصدر الرحب، والفكر المستنير، والتسامح مع الآخرين– دون قهر ولا إجبار.

وتلك أحسن الأساليب مناسبة للفطرة البشرية وتجاوبًا معها..

لقد بقي رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عامًا في مكة يعالج تلك النفوس الملتوية، في صبر وتدرج، دون تعجل للنتائج، وبقى نوح عليه السلام يدعو ألف سنة إلا خمسين عاما، وبرغم منزلة إبراهيم عليه السلام وجهاده المستمر الطويل.. آمن له لوط، ومات بعض الأنبياء دون أن يحقق شيئا ملحوظا.. فلم ينقص ذلك من قدره شيئا.. لأنه بذل ما في وسعه، عالما أن الأمر كله لله.

أيها الداعية..

اجتهد في تصحيح النية قبل أن تبدأ عملًا، ثم اجعل شعارك العمل الدائب، مع الصبر الجميل، واجعل هدفك في التحويل النفس الإنسانية وما أصعبها من رسالة – لكنها خير ما في الوجود من أعمال. قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

مفكرة الدعاة

* إن أسلوب التحدي ولو بالحجة الدامغة، يبغض صاحبه للآخرين، فيجب التلطف لأن كسب القلوب أولى من كسب المواقف.

* إذا كان لك هدف ترجو الوصول إليه – فاختر له أقرب الطرق وأرجاها.. فرب كلمة يغني عنها سواها.

* في كل مجتمع توجد موازين قوى، لا بد أن يحسب حسابها.. لصالح الدعوة. لقوله عليه الصلاة والسلام: «**أنزلوا الناس منازلهم**».

* ليس العتاب المباشر ولا النقد المر هو السبيل لتعليم الجاهلين.. إنما يجب التعريف بالقواعد الأساسية والاطمئنان إلى أن التوجيه سيصيب محلا مقبولًا.

* إياك وتبديد الطاقة الإنسانية:

بمعالجة الأمور التافهة.

أو بالجدل الذي لا يفيد

أو بالجمود على شيء معين والاعتماد على النقول الصيغية.

أو بالخروج عن الموضع والإملال وإلا ضاق الناس بك ذرعًا.

* من سنة الله تعالى أن الحياة للمبصرين لا للجاهلين.

* إن الذين يملكون المال ويقدرون على الإصلاح، قلما يحضرون لدروس الوعظ وقلما يعمرون المساجد. فيلزم الاحتيال للاتصال بهم.

* الحركة من ألزم واجبات الدعاة، فلا تلوموا الذين لم يحضروا إليكم.. ولكن لوموا أنفسكم إذ لم تتصلوا أنتم بهم.

* السكر أنواع.. وشرها سكر الهوى.. والغرور.

* إن الرقاع في ثوب عمر لم تنقص قدره، وإن الحرير في ثوب رستم لم يمنعه من الهزيمة.. ولم يمنع كسرى من التشرد في الأرض.

* يخطئ الداعية حين يظن أنه بإلقاء خطبة أو بإعلان رأي قد نقل الناس من جهة إلى أخرى.. إنما تتم الاستجابة بعوامل شتى.. منها المودة.. والوقت.. والحاجة الشخصية.. ومن قبل ذلك توفيق الله سبحانه وتعالى.

* ليس المهم صلاحية جهاز الإرسال.. إنما المهم إصلاح جهاز الاستقبال.

* قد يتخلى عنك الرأي العام، وهو يعلم أنك صاحب الحق كما حدث ليوسف عليه السلام:

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ [يوسف: ٣٥].

افترض فيمن تدعوه أن ذكي وعالم، فلا تتورط فيما يؤخذ عليك..

ولا تضايق غيرك بالإطناب في إيراد البدهيات.

* لا تلجأ لاستعراض عيوب الآخرين ولا تلجأ للشكوى باعتبارهما من مواد الخطابة، إلا إذا كان ذلك مدخلا ضروريا لشرح ما يمكن للسامع أن يقوم به، وليكن خلط القصة بالحديث بمقدار ما تخلط التوابل بالطعام.

* يعتقد الناس عادة أنك أنت الدعوة، ويصعب عليهم أن يفرقوا بينكما.. فحاذر من الوقوع في التناقض

* الداعية مهندس وبنَّاء فهو ليس ممثلا يحرص على استدرار إعجاب المشاهدين، كما أنه ليس فنانا هدفه تقديم التسلية لهم.

* في المجتمعات الصعبة يجب أن يكون التعامل بمهارة نادرة، كما يكون التعامل في بعض الدول بالعملة الصعبة.

* تجنب التزام اللون الواحد من جوانب التفكير؛ حتى لا تُشْتَهر به فتغفل عما سواه، فالدين شيء كبير متكامل.

* تعرَّف على تاريخ الحركات، فأنت لا تعمل في فراغ، واعلم أن الحياة ماض وحاضر ومستقبل.

* لا تتحد الأمر الواقع، لا تصطدم بالعلم الثابت.

* رتب الأهميات، فلا تضح بالأهم لأجل ما هو دونه في الأهمية.

* ليس كل ما يعرف يقال، ولكل مقام مقال.

* خاطب الناس بما يمكنهم تنفيذه، أو بما يمكنهم تفاديه. ولا تشطح كثيرا في الخيال، وزن ألفاظك جيدا فإنما تُحصى على الدعاة أيسر الأخطاء.

* إن نجاح القضايا يحتاج لسلامة الشكل وصحة الموضوع معا، فقد تعظ إنسانا بقول لا جدال فيه، فيسلم لك بالحق من الناحية العقلية، ولكنه يرفضه ويرفضك من الناحية العاطفية، لأنك أحرجته أمام غيره مثلا، وكان الانفراد به أولى.

* درج الناس على تقدير الشخص باعتبار الوظيفة التي يشغلها، أو المكانة الاجتماعية التي وصل إليها.. وهذا مقياس قائم ومفروض علينا. ولكنه في غاية الفساد فقد يشغل المنصب من لا يستحقه ويحتل المكانة من استعمل للوصول إليها كل سبيل أعوج.. إنما المقياس الصحيح.. هو رقة القلب. وسلامة العقل. وتقوى الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣].

* افترض فيمن تحدثه أنه يفكر في نفسه وفيما يمكن أن يعود عليه.. فقد قال أهل مكة لرسول الله ﷺ: فماذا لنا إن نحن تابعناك على هذا الأمر؟ فقال: «**إن صدقتم الله فلكم الجنة – ولا أملك لكم شيئا**». واعلم أن بعض الناس فقط يرضيه مثل هذا الجواب الكريم.

****